

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## الدرس : 1 - سورة الضحى - تفسير الأیتان 04 - 05

05-07-1998

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، من سورة الضحى قوله تعالى:

**﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (5)﴾**

[سورة الضحى]

هذه الآية موجهة إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وهناك قاعدة في التفسير أن كل آية موجهة إلى النبي عليه الصلاة والسلام هي موجهة حكماً إلى المؤمنين، ما لم نعلم قرينة تدل على عكس ذلك. النبي عليه الصلاة والسلام له خصوصيات، فإذا قامت قرينة في الآية تدل على عكس ذلك انصرفت الآية إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أما إن لم نعلم هذه القرينة فكل خطاب إلى النبي عليه الصلاة والسلام هو حكماً خطاب إلى المؤمنين.

فالله عز وجل وهو الخبير، وهو العليم، وهو الرحمن الرحيم قال:

**﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (4)﴾**

[سورة الضحى]

فالذي يرى أن الأولى خير من الآخرة يكذب هذه الآية، قال تعالى:

**﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (27)﴾**

[سورة الإنسان]

هذه السيارة ربع ساعة، وبين أن تمتلك هذه الدراجة النارية فأيهما تختار؟ الدراجة لأنها ستصبح ملكاً لك! الآن تخيير ثانٍ خيرناك بين سيارتين؛ أن تتركب الأولى ربع ساعة، وأن تمتلك الثانية فماذا تختار؟! طبعاً الثانية من دون تردد، طيب فلو خيرناك بين أن تتركب هذه الدراجة ربع ساعة وبين أن تمتلك هذه السيارة! هنا لو تردد الإنسان ثانية في عدم أخذ السيارة فهو مجنون.

الدنيا مَحْدُودَةٌ ؛ وهي سَنَوَاتٌ مَعْدُودَةٌ، يقول الإمام علي رضي الله عنه: يا بُنَيَّ، العِلْمُ خَيْرٌ مِنَ المَالِ، لأنَّ العِلْمَ يَحْرُسُكَ، وأنت تَحْرُسُ المَالِ، والمَالُ تُنْقِصُهُ النَّفَقَةُ، والعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الإِنْفَاقِ، مات حُزَّانٌ المَالِ وهم أَحْيَاءُ، وهم أَحْيَاءُ مَانُوا مَيِّتِينَ:

ليس مَنْ مات فَاسْتَرَّاحَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا المَيِّتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ

وقال تعالى:

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21) ﴾

[سورة النحل]

إنسانٌ بلا هَدَفٍ، وبلا قِيَمٍ، وبلا آخِرَةٍ ولا مُنْهَجٍ، كائِنْ شارِدٌ وكائِنْ يَبْحَثُ عن شَهَوَاتِهِ، ويريدُ كُلَّ بلا ثَمَنٍ، وبييعُ دينه وأخِرَتَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ ! وَيَسُبُّ الإِلهَ لِأَدْنَى أَنْزَعِاجٍ؛ وهذا حالُ الناسِ، لذلك قال تعالى

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا

مَذْهُورًا (18) ﴾

[سورة الإسراء]

دَكَرْتُ لَكُمْ مَثَلًا كَثِيرًا إِلَّا أَنَّ مَا كَانَ مَلَائِمٌ جَدًّا فِي هَذَا الدَّرْسِ ؛ أَحَدُ سَيَّارَاتِ اللُّقْلُ العام كانت واقفة في المَرْجَةِ بِاتِّجَاهِ الشَّرْقِ مُتَّجِهَةً مِنْ جِهَةِ المُهَاجِرِينَ، فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ الحَارَّةِ تَصْعَدُ إِلَيْهَا، تَجِدُ عَلَى اليمينِ شَمْسٌ، وَعَلَى اليسارِ ظِلٌّ، الرَّاكِبُ العَاقِلُ يَجْلِسُ فِي الشَّمْسِ لِأَنَّ هَذِهِ السَّيَّارَةَ مُتَّجِهَةٌ نَحْوَ المُهَاجِرِينَ فَإِذَا دَارَتْ فَخِلَالَ أَقَلِّ مِنْ دَقِيقَةٍ يُصْبِحُ المَكَانُ المُظَلَّلُ مُشْمِسًا، لِذَا الرَّاكِبُ يُمْتَحِنُ عَقْلَهُ فِي مَكَانِ جُلُوسِهِ، فَالَّذِي عَطَّلَ عَقْلَهُ يَجْلِسُ فِي الظِّلِّ، وَبَعْدَ دَقِيقَةٍ تَلْدَغُهُ الشَّمْسُ إِلَى نِهَايَةِ الطَّرِيقِ، وَالَّذِي اسْتَحَدَّمَ عَقْلَهُ يَجْلِسُ فِي الشَّمْسِ وَيَتَحَمَّلُهَا دَقِيقَةً، وَيَنْعُمُ بِالظِّلِّ عَشْرِينَ دَقِيقَةً، فَهَذَا المَثَلُ يُعَبِّرُ عَنِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَالَّذِي اسْتَعَجَلَ الطَّنْبَاتِ فِي الدُّنْيَا خَسِرَ الآخِرَةَ.

الآية دقيقة جدًا، قال تعالى:

﴿وَلِلاَخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى (4)﴾

[سورة الضحى]

أحيانًا يأتي الابن المدرسة جائعًا، وهي تَطْبُخُ أَلَدُ الطَّعَامِ فَإِذَا بِهِ يَأْكُلُ زَيْتُونَ وَخَبِرَ وَرَعْنَرَ، تقول الأم: اصْبِرْ ! فَإِذَا بِهِ يَأْكُلُ أَحْشَنَ طَعَامٍ، وَيُضَيِّعُ أَطْيَبَ طَعَامٍ، فَرَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَنَا لِجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْإِنْسَانَ لِجَهَنَّمَ لِطَبِئِهِ اسْتَعَجَلَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا:

## ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (4)﴾

[سورة الضحى]

وللآخرة خير لك من الأولى، وربنا عز وجل يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38)﴾

[سورة التوبة]

الدنيا متاعها قليل، وهي تضرّ وتَهْرَ وتَمُر، وهي دارٌ من لا دارَ له ولها يسعى من لا عقلَ له، والدنيا جيفةٌ طلابُها كلابُها.

مرَّ النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه بِشَاةٍ مَيْتَةٍ أُفِيَّتِ فِي الطَّرِيقِ جِيْفَةً، ولها رائحة لا تُحْتَمَلُ،

((فقال عليه الصلاة والسلام: أنظروا كم هي هَيْتَةٌ عَلَى أَهْلِهَا حَتَّى أَلْقَوْهَا فِي الطَّرِيقِ: وَالَّذِي بَعَثَ

مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ لَا الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الشَّاةِ عَلَى أَهْلِهَا..))

والحديث المَعْرُوف:

((لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تَعْدَلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ...))

هل تَقَبَّلُوا هَذِهِ النَّصِيحَةَ مِنَ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ؟ وَالْعَلِيمِ الْخَبِيرِ ؟ وَمَنْ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ وَمِمَّنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ:

## ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (4)﴾

[سورة الضحى]

قد يوعَدُ الطَّالِبُ حِينَ ذَهَابِهِ إِلَى أَحَدِ الدُّوَلِ ؛ أَمْرِيكَ أَوْ فَرَنْسَا أَنَّهُ إِنْ تَحَصَّلَ عَلَى دَكْتُورَاهِ سَيَحْصُلُ عَلَى أَكْبَرِ مَنُصَبٍ، وَدَخَلَ كَبِيرَ وَمَنْزَلٍ... إِلَّا أَنَّ هَذَا الطَّالِبَ قَدْ يَعْتَرُّ فَيَنْعَمِسُ فِي الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَائِدِ وَالْمُوبِقَاتِ، وَيُضَيِّعُ مُسْتَقْبَلَهُ كُلَّهُ، وَيُصْبِحُ فِي مَرْبَلَةِ الْمُجْتَمَعِ، لَذَا :

## ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (4)﴾

[سورة الضحى]

الدِّينُ قِيَمٌ وَحُدُودٌ، وَمَنْهَجٌ، هَذَا حَلَالٌ وَذَاكَ حَرَامٌ، هَذِهِ تَجُوزُ وَتِلْكَ لَا تَجُوزُ، فَاللَّهُ تَعَالَى قَالَ لَكَ:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5)﴾

[سورة الضحى]

لَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا دَارُ عَطَاءٍ، بَلْ هِيَ دَارُ ائْتِيَاءٍ، وَلَيْسَتْ دَارُ جِزَاءٍ بَلْ دَارُ عَمَلٍ، وَلَيْسَتْ دَارُ تَشْرِيفٍ، بَلْ دَارُ تَكْلِيفٍ، فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ نَضَعَ لِلطَّالِبِ مَقْعَدَ اسْتَفْجِيٍّ مِنَ النَّوْعِ الرَّفِيعِ ؟ مُسْتَحِيلٌ هَذَا، بَلْ نَضَعُ لَهُ

مَفْعَدَ حَشَبٍ حَتَّى لَا يَنَامَ، وَهَلْ يُعَقَّلُ أَتْنَاءَ الدَّرْسِ نَأْتِي لَهُ بِالْمُكَسَّرَاتِ وَالْمَوَالِحِ وَشَرَابٍ وَ... هَذِهِ مَدْرَسَةٌ الْجَوُّ الْمُرِيحُ غَيْرُ مَوْجُودٍ فِيهَا فَطَبِيعَةُ الْمَدْرَسَةِ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ سُبُورَةٌ وَمُحَاضِرٌ، وَانْتَهَى الْأَمْرُ. هَذِهِ الدَّارُ تَتَنَاقَضُ مَعَ النَّعِيمِ، يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِيَّاكَ عَبْدُ اللَّهِ وَالتَّنَعُّمُ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ... " وَإِيَّاكَ أَنْ تَقْصِدَ التَّنَعُّمَ لِذَاتِهِ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ. دَرَسْنَا الْيَوْمَ:

### ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5)﴾

[سورة الضحى]

بين المؤمن والكافر سوف، فالكافر استعجل، وأراد النتائج مباشرة، أما المؤمن صبر، وانتظر وعُد الله عز وجل.

أحدهم يطوف حول الكعبة ويقول: يا رب، هل أنت راضٍ عني؟ وكان ورائه الإمام الشافعي فقال له: يا هذا، وهل أنت راضٍ عنه حتى يرضى عنك؟ فقال له: يا سبحان الله! من أنت؟ فقال له: أنا محمد ابن إدريس، قال: كيف أرضى عن الله، وأنا أتمنى رضاه؟ فقال الإمام الشافعي: إذا كان سرورك بالنعمة كسرورك بالنعمة، فقد رضيت عن الله.

لذا أيها الإخوة، من أحبب دُنْيَاهُ أَضْرَّ بِأَخْرَجَتِهِ، فَحُبُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ لَا يَجْتَمِعَانِ، فَلَا بَدَمَنْ أَنْ تُؤَثِّرَ الْآخِرَةُ عَلَى الدُّنْيَا، وَرَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ قَالَ:

### ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (30)﴾

[سورة إبراهيم]

وقال تعالى:

### ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35)﴾

[سورة إبراهيم]

هناك أخٌ يصنع عُرفَ نومٍ، وله صالة فخرة جدًّا، قال لي: أتى أحد الأصدقاء عندي، وقد جاء معه شخصٌ فطلب مني أن أصنع له غرفة نومٍ، فما ارتاح إلا أن أحضرنا خشبًا وبقي هذا الخشب يجف أكثر فأكثر من الرطوبة لمدة سنة، ثم لما جف بدأ طلب هذا الزبون بالكتالوك وأنواع العُرف فقد بقي سنة أشهر حتى استقرَّ على نوع من هذه الأنواع، ثم بدأ باختيار اللون فبقي مدة طويلة وهو يبحث عن أفضلها، لما انتهينا، وذلك بعد سنتين، طلبنا فقال: أنا أذهن الغرفة فأمهلهنا مدة، ثم أصبح هناك طلب على هذه الغرفة، فهددته مرةً أن إذا لم تأت بعُنفها، فقال لي: ساعت يوم الخميس، في ذلك اليوم انتظرتُه

فلم يأتِ، فَذَهَبْتُ إِلَى دَارِهِ فَإِذَا بِي أَسْمَعُ ضَجِيجًا فِي الْبَيْتِ، فَطَرَفْتُ الْبَابَ وَقُلْتُ: قُولُوا لِي أَن يَأْتِي يَأْخُذُ غُرْفَتَهُ، فَقَالُوا لِي: لَقَدْ مَاتَ صَاحِبُهَا !!!  
هذه هي الدنيا، وهناك آلاف القصص من هذا النوع ؛ اشترى بيتًا وما سكنه، وأخذ شهادة وما تعين فيها،  
قال تعالى:

**﴿ وَلسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5) ﴾**

[سورة الضحى]

وهنيئًا لِمَنْ نَقَلَ اهْتِمَامَتَهُ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَعَاشَ فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنًا وَطَائِعًا لِلَّهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى:

**﴿ وَللْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَلسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5) ﴾**

[سورة الضحى]